

التكفل النفسي والاجتماعي للطفل اليتيم في الوسط المدرسي في الجزائر-الواقع والآفاق.

المؤلف: هياق إبراهيم

جامعة محمد خيضر بسكرة dr.haiagbrahim@gmail.com

الملخص :

إن الرعاية الوالدية للأبناء وحاجتهم للتكفل النفسي والاجتماعي، الذين يحصلون عليه في كنف الأسرة، وفي ظل هذه الرعاية يظل الطفل من هذه النافذة على البيئة الاجتماعية، مستخدما حواسه ومكتسباته التي تزود بها، من أجل التكيف مع عوامل ومتغيرات هذه البيئة، مستمدا توازنه النفسي والاجتماعي أساسا من جملة التفاعلات الاجتماعية الأسرية، غير أن غياب أحد الوالدين أو كليهما، يترك شرخا عميقا في نفسية الطفل، مسببا له شعورا بعدم الأمان، هذا الشعور الذي تلحقه حالات من فقدان الثقة بالنفس والقلق والغضب، ثم الانطواء وضعف الانتماء للمحيط الاجتماعي.. هذا الشعور يزداد حدة عند التحاق الطفل بالمدرسة، ويصبح الأمان البسيكوسوسيولوجي مفتاح الاندماج في المحيط الجديد، لتحقيق تحصيل دراسي يمكنه من اكتساب معارف ومهارات، هذا ما دفعنا للتساؤل حول واقع التكفل النفسي والاجتماعي بالطفل اليتيم في مدارسنا، وهل تستجيب مدارسنا للمعايير المطلوبة للتكفل بالأيام، خاصة أن هناك العديد من حالات اليتيم المسكوت عنها، والتي نعني بها أيام متكفل بهم من طرف أحد الوالدين أو الأقارب، ربما لا يعلم المعلم والمؤسسة التربوية بوضعهم الاجتماعية والنفسية شيئا، ويعاملون على أنهم أطفال عاديين.

Abstract

The child's parental care for children and their need for psychological and social care, which they receive within the family. Under this care, the child overlooks the social environment, using his senses and the resources he provides to adapt to the factors and variables of this environment. Of the family social interactions, but the absence of one or both parents leaves a deep gap in the child's psyche, causing him a feeling of insecurity, a feeling of loss of self-confidence, anxiety and anger, and introversion and poor belonging to the social environment.

This feeling becomes more acute when the child enrolls in school, and psychosocial security becomes the key to integrating into the new environment to achieve a learning achievement that enables him to acquire knowledge and skills. This led us to wonder about the reality of psychosocial care in our schools. That there are many orphaned cases of orphanhood, which we mean orphans guaranteed by a parent or relatives, perhaps the teacher and the educational institution does not know their social status and psychological thing, and treated as ordinary children.

مقدمة:

إن الرعاية الوالدية للأبناء وحاجتهم للتكفل النفسي والاجتماعي، الذين يحصلون عليه في كنف الأسرة، وفي ظل هذه الرعاية يظل الطفل من هذه النافذة على البيئة الاجتماعية، مستخدماً حواسه ومكتسباته التي تزود بها، من أجل التكيف مع عوامل ومتغيرات هذه البيئة، مستمداً توازنه النفسي والاجتماعي أساساً من جملة التفاعلات الاجتماعية الأسرية، غير أن غياب أحد الوالدين أو كليهما، يترك شخراً عميقاً في نفسية الطفل، مسبباً له شعوراً بعدم الأمان، هذا الشعور الذي تلحقه حالات من فقدان الثقة بالنفس والقلق والغضب، ثم الانطواء وضعف الانتماء للمحيط الاجتماعي.

هذا الشعور يزداد حدة عند التحاق الطفل بالمدرسة، ويصبح الأمان البسيكوسوسيولوجي مفتاح الاندماج في المحيط الجديد، لتحقيق تحصيل دراسي يمكنه من اكتساب معارف ومهارات، هذا ما دفعنا للتساؤل حول واقع التكفل النفسي والاجتماعي بالطفل اليتيم في مدارسنا، وهل تستجيب مدارسنا للمعايير المطلوبة للتكفل بالأيتام، خاصة أن هناك العديد من حالات اليتيم المسكوت عنها، والتي نعني بها أيتام متكفل بهم من طرف أحد الوالدين أو الأقارب، ربما لا يعلم المعلم والمؤسسة التربوية بوضعهم الاجتماعية والنفسية شيئاً، ويعاملون على أنهم أطفال عاديين.

تسعى مداخلتنا إلى تسليط الضوء على هذه الفئة من الأيتام، وتقديم اقتراحات للتكفل الجيد بحالتهم من أجل مساعدتهم على التكيف بشكل أفضل مع المحيط المدرسي والاجتماعي، وتحقيق تحصيل دراسي جيد، من خلال التناول الآتي:

- 1- مفهوم اليتيم لغة واصطلاحاً.
- 2- الحاجات النفسية والاجتماعية لليتيم والآثار المترتبة عن حرمانه منها.
- 3- واقع التكفل باليتيم في الوسط المدرسي في الجزائر.
- 4- مقترح التكفل بالطفل اليتيم في الوسط المدرسي: نفسياً واجتماعياً وبيداغوجياً.
- 5- خلاصة.

1- مفهوم اليتيم لغة واصطلاحاً

بالرجوع إلى المعاجم والقواميس، نجد أن "يتيم" لها معان عدة، فاليتيم لغة هو الشيء الذي قل نظيره أو فقد، "فرد يعز نظيره، يقال بيت من الشعر يتيم مفرد لا نظير له، واليتيمة من الدرر ونحوها: الثمينة التي لا نظير لها". (المعجم الوجيز، 1989، ص 684).

فالفعل يتم: اليتيم بمعنى الانفراد، واليتيم واليتيم: فقدان الأب، وقال ابن السكيت: اليتيم في الناس من قبل الأب، وفي البهائم من قبل الأم، وقال بن بري: اليتيم من يموت أبوه، والعجي من تموت أمه، و اللطيم الذي يموت أبواه، والجمع أيتام و يتامى و يئمة. (ابن منظور، 1973، ص ص 645، 646).

أما معجم أكسفورد فاليتيم هو "فاقد الأبوين أو أحدهما" (محمد بدوي وآخرون، 1973، ص 751).

كما ورد في قاموس مصطلحات العلوم الاجتماعية، اليتيم: طفل تابع (معال)، فقد أحد أبويه أو كليهما" (مصلح الصالح، 1999، ص 377).

إن مفهوم اليتيم في اللغة العربية يخص الطفل الذي فقد والده، ويكون التركيز هنا عن الوالد نظرا لقدرة الأب على التكفل المادي، وحاجة الطفل لذلك في مراحل حياته الأولى، وإن كنا نسجل تطورا في المفهوم ليصبح شاملا للوالدين (الأب والأم)، نظرا للتطور الحاصل في البناء الاجتماعي للمجتمعات الحديثة وحصول المرأة على مكانها ودورها الحضاري، من خلال مساهمتها الاقتصادية في الحياة، وانطلاقا من هذا التصور يوجد العديد من الأمهات يكفلن أبنائهن اقتصاديا، دون أن تُهمل الجوانب الأخرى في حياة الطفل، كالنمو الاجتماعي والانفعالي، والتي يكون لفقد الأم فيه بالغ الأثر.

1- الحاجات النفسية والاجتماعية لليتيم

إن النفس البشرية بما يكتنفها من رغبات وميولات وبواعث معلنة وكامنة مستترة، كانت ولا زالت مثار اهتمام الباحثين والدارسين في العلوم النفسية والاجتماعية، معتبرين الحاجات النفسية والاجتماعية، هي الطاقة أو المحرك الفعال لتوجيه وتنظيم السلوك الإنساني، لبناء الشخصية المستقرة للفرد وصقلها اجتماعيا، معتبرين الأسرة الوحدة الأولى التي تساهم في تأمين الحاجات الأساسية للفرد نفسيا واجتماعيا، كونها بيئة حاضنة اجتماعيا للطفل في مرحلته الأولى، شبع حاجاته النفسية والاجتماعية في كنفها.

يرى "حامد زهران" في الحاجة وأهميتها "الحاجة افتقار إلى شيء ما، إذا وجد حقق الإشباع والرضا والارتياح للكائن الحي، والحاجة شيء ضروري لما لاستقرار الحياة نفسها، (حاجة فسيولوجية) أو الحياة بشكل أفضل (حاجة نفسية)، فالحاجة إلى الأوكسجين ضرورية للحياة نفسها، وبدون أوكسجين يموت الفرد في الحال، أما الحاجة إلى الحب فهي ضرورية للحياة بأسلوب أفضل، وبدون إشباعها يصبح الفرد سيئ التوافق، والحاجة توجه سلوك الكائن الحي سعيا لإشباعها" (حامد زهران، 1986، ص 267).

كما يرى فيها منصور وآخرون "رغبة ملحة عند الكائن الحي في شيء ما ينقصه، ولا يمكن العيش بدونه، مما يتسبب عنها حالة التوتر العضوي والنفسي، يعاني منها بصورة مستمرة حتى يتم الاستجابة لهذه الرغبة، وقد يدرك

الكائن الحي رغبته هذه، ولا يتعرف عليها، في حين أنه يحاول جاهدا تحقيقها بمجرد تحديدها لكي يتخلص من حالة التوتر التي يعاني منها"(منصور وآخرون، 2003، ص 114).

أما معوض خليل فيرى في الحاجات النفسية والاجتماعية، حالة من النقص و الحرمان أو الافتقار في شيء معين، يصاحب ذلك اضطراب جسمي أو نفسي، يثير نوعا من التوتر، سواء تعلق هذا الأمر بالجوانب البيولوجية، أو بالجوانب النفسية، كالحاجة للأمن والانتماء(معوض خليل، 2001، ص 69).

كما أن عدم إشباع الحاجات يؤدي إلى شعور الفرد بعدم الراحة والتوتر، باحثا عن أعمال تعيد له التوازن النفسي المفقود، بسبب الحاجة غير المشبعة، وحين تتحقق هذه الحاجة تحدث حالة الاتزان الجسدي أو النفسي، وتستشعر النفس الرضا(فاخر عاقل، 1984، ص 114).

والحاجات النفسية والاجتماعية كثيرة ومتنوعة، وقد أورد العديد من الباحثين تصنيفات لها حسب درجة الأهمية، غير أننا في بحثنا هذا سنركز على ما نراه في غاية الأهمية في مرحلتَي الطفولة والمراهقة، والمرتبطة بالوسط التربوي للوقوف على واقع التكفل باليتيم في هذا الوسط، وإن كنا نقر بأن الحاجات الفسيولوجية والنفسية والتربوية، هي من ضروريات الحياة الكريمة للإنسان، وإن إشباعها من دعائم تكوين شخصية متزنة، وأن هذه العوامل يأخذ بعضها برقاب بعض، لكن الضرورة المنهجية في البحث اقتضت أن نركز على بعض الحاجات دون غيرها.

2-1- الحاجات النفسية:

تعتبر الحاجات النفسية للأطفال كما سبق الإشارة إليه، محركا ودافعا للسلوك الإنساني، فالإشباع المحقق لهذه الحاجات يساهم في تكوين الشخصية السوية، والطفل اليتيم لا يختلف عن أقرانه في الإشباع النفسي، مع فارق جوهري أن هذا الطفل يتميز بخاصية شعوره المسبق بغياب أحد الوالدين أو كليهما، مما يولد لديه نقصا رهيبا في حاجات نوعية، قد يتعذر على محيطه الاجتماعي، توفير هذه الحاجات وتحقيق الإشباع النفسي منها، ومن أهم هذه الحاجات ما يأتي:

- الحاجة إلى الأمن: يعتبر الشعور بالأمن من أهم الحاجات التي يسعى الإنسان بالفطرة إلى تأمينها، فالأمن مثبت ومزيل للشعور بالخوف، والأطفال هم الفئة الأكثر تضررا من عدم إشباع هذه الحاجة، مما يؤثر على بناء شخصياتهم مستقبلا، فالشعور بالأمن في كنف الأسرة بوجود الوالدين بما يضيفانه من شعور بمصدر القوة، لمجابهة كل خطر يتهدد الطفل، هذا الشعور لدى الأطفال يعزز لديهم التعلق بوالديهم، واعتبارهما مصدر الأمان، وعليه فالطفل اليتيم سواء فقد أحد الوالدين أو كليهما، خاصة في بعض المراحل العمرية المتميزة بإدراك كنه الأمور والأحداث تكون له عواقب غير محمودة وآثار سلبية، هذا الشعور الذي إذا تملك النفس البشرية، خاصة بالنسبة للفئة الهشة من النسيج الاجتماعي ممثلة في الأطفال، كان لها بالغ الأثر في

النمو النفسي والاجتماعي لهم، مما قد يولد لديهم عدم الرغبة في الاندماج المجتمعي، وقد يجنح الفاقد للأمن لسلوكيات مضرة به وبالأخرين كالكذب نتيجة غياب الثقة في الآخرين، فيكون بذلك شخصا خائفا مترددا خجولا ضعيف الثقة بنفسه (عبد الحميد النشواتي، 1993، ص 213).

• الحاجة للحب والانتماء: يكتسي الحب أهمية كبيرة في حياة الإنسان عموما والأطفال بشكل خاص، فالحب نزعة فطرية غريزية، كل فرد يحتاج إلى هذا الشعور الجميل بأنه محبوب، وأنه قادر على أن يحب هو أيضا، وأن يعبر عن هذا الحب في شكل سلوكيات، وأول مدارج هذا الشعور النبيل، تكون بين الأم ووليدها، ثم تتسع الدائرة لتشمل الأب والإخوة والأصول والفروع للعائلة، ثم جماعة الرفاق والدراسة والعمل.... الخ. يحتاج الطفل في هذه المرحلة إلى الإشباع العاطفي من الحب والحنان، بحيث يشعر بأنه مرغوب فيه، وأنه ينتمي إلى بيئة اجتماعية صديقة. (حامد زهران، 1986، ص 267).

إن عدم إشباع هذه الحاجة عند الطفل اليتيم، تؤدي إلى شعوره بالنبذ وعدم رغبة الآخرين في وجوده بينهم، مما يعزز لديه الرغبة في الانطواء والتفوق حول ذاته، والعزوف عن الاندماج ضمن النسق المجتمعي، ويصبح يعاني من الجوع العاطفي، ويشعر بأنه غير مرغوب فيه، ويصبح سيئ التوافق ومضطربا نفسيا (عبد الله مجدي، 1997، ص 296). ليتحول ذلك إلى ردود أفعال جانحة تجاه الآخرين، تبدأ بأعمال الرغبة منها لفت الانتباه، لكنها قد تتحول لأعمال عدائية وانتقامية في مراحل متقدمة.

• الحاجة إلى تقدير وتحقيق الذات: إن الحاجة لاحترام الذات وتقديرها، حاجة ملحة وضرورية، يشعر من خلالها الطفل بذاته، على المستوى الداخلي وجدانيا، وعلى المستوى الخارجي من خلال تجسيد ما يرغب في تحقيقه من مكانه بين أقرانه وفي محيطه الاجتماعي، ويسعى دوما للحصول على المكانة المرموقة، التي تعزز ذاته وتؤكد أهميتها (حامد زهران، 1986، ص 270).

ويعطي "ماسلو" المعنى الحقيقي لتحقيق الذات "بأن يكون الإنسان ما يستطيع أن يكون" رغبة الطفل في تحقيق ذاته تمتد في عمق تقدير الذات، فهما وجهان لعملة واحدة، تعمل الأولى بناء على الثانية، بمعنى إذا انكفأ تقدير الذات، أصبح تحقيقها أمرا صعب المنال.

إن قهر الطفل وخاصة اليتيم من خلال عدم القدرة على إشباع هذه الحاجة، خاصة من خلال التهمك على كل ما يقوم به أو ببديه من ملاحظات، تؤثر سلبا عليه بدرجة أكبر من غيره، نظرا لشعوره دوما بمكان النقص والقصور، لغياب الوالدين أو أحدهما، مما يولد شعورا بعدم الرضا والدونية، مؤدية إلى حالة من الإحباط و الاغتراب.

2-2- الحاجات الاجتماعية

إن الحاجات النفسية والحاجات الاجتماعية للفرد يرتبطان ارتباطاً عضوياً، من خلال التأثير المتبادل للعوامل المختلفة، والحاجات الاجتماعية على قدر من الأهمية في حياة الطفل حاضراً ومستقبلاً، فهي الحاجات التي تتعلق بعلاقة الفرد بالمجتمع والرفاق كالحاجة إلى المركز الاجتماعي (عبد الرحمان محمد، 1998، ص 480).

1-2- الحاجة إلى المكانة الاجتماعية: إن اجتماعية الإنسان لا جدال حولها، فالرغبة الملحة في تحقيق علاقات اجتماعية من سجايا الكائن البشري، ولن تكتمل هذه الحاجة إلا بعد إشباعها، بتحقيق مكانة اجتماعية معينة، من خلال الدور أو الأدوار التي يقوم بها الفرد في إطار جماعته، وبالتالي يحقق من خلال ذلك مركزاً اجتماعياً، يشير المركز الاجتماعي إلى "الوضع الذي يشغله الشخص أو جماعة من الأشخاص داخل جماعتهم" (علي عبد الرزاق جليبي، 1984، ص 20).

فالطفل ممن خلال وجوده في كنف الأسرة يسعى لتحقيق مكانة مميزة، وذلك بالتقرب للوالدين والفوز برضاهم والعمل على اكتساب مكانة اجتماعية، تساهم في تنشيط السلوك الإنساني، فالحاجات الاجتماعية هي دوافع نحو تحريك السلوك الإنساني، هذا الإشباع الذي يحققه الطفل يبعث في نفسه الشعور بالارتياح والطمأنينة، وعدم تحقيق هذا الإشباع يكون سبباً في ظهور حالات القلق والتوتر وما ينجر عنهما من آثار على الفرد والمجتمع.

واليتيم من الفئة التي تتأثر كثيراً بغياب هذا النوع من الحاجات، نظراً لغياب أحد الوالدين أو كليهما، فالطفل في هذه المرحلة العمرية الهشة يصبح غير قادر على الشعور بالطمأنينة المصاحبة لعملية الإشباع لأنه يتحول لشخص فاقده الثقة في الآخرين.

2-2- الحاجة لتعلم المعايير الاجتماعية: إن علاقة الطفل بوالديه ومراقبته لكل التصرفات التي تصدر عنهم تجاه المواقف المختلفة، يولد لديه الرغبة في المحاكاة لهذه السلوكيات واكتساب المعايير المجتمعية، لأن ذلك جزء من حاجاته التي يرغب في إشباعها، فالمعايير الاجتماعية بالنسبة له تحقيق لذاته، فتبنيه لها يقربه من عالم الكبار خاصة الوالدين والأقارب، وجماعة الرفاق، مما يكسبه المكانة الاجتماعية التي يصبو إليها، فغياب الأب خاصة في هذا الجانب له تأثير كبير حي يساور الشك الطفل في كل هذه المعايير الاجتماعية، والتساؤل من خلال جملة من الأسئلة عن جدواها، وقد تتحول علاقته بالمعايير الاجتماعية، إلى نوع من الانتقام برفض كل المعايير والخروج عنها، وإتباع معايير مخالفة نتيجة شعوره بعدم تحقيق ما يرغب فيه من المجتمع.

2- واقع التكفل بالطفل اليتيم في المدرسة الجزائرية

لا يخلو وسط تربوي من تسجيل حالة أو أكثر من حالات اليتيم، بفقد أحد الوالدين أو كليهما، والمدرسة الجزائرية لن تشذ عن هذه القاعدة، لأن المشكلة ليست في وجود ممتدرسين أيتام، بل في كيفية التكفل بهذه الحالة في الوسط التربوي، في ظل جملة من الصعوبات نوجزها في ما يلي:

• ضعف التكوين عند المساعدين التربويين فتوظيفهم المباشر، وعدم خضوعهم للتكوين في علم النفس والاجتماع وعلوم التربية يجعل تدخلاتهم ناجمة عن تجارب واجتهادات شخصية.

• عدم قدرة طاقم التدريس (الأساتذة والمعلمين) القيام بالعملية التعليمية والإشراف على الحالات الخاصة، التي تسترعي المتابعة والإشراف المتواصل والاتصال بعدة أطراف معنية بالموضوع، فلا الوقت يكفي ولا التكوين في هذا المجال يمكن الطاقم من التدخل المناسب.

• قلة الوعي عند الكثير من الأولياء بأهمية التواصل مع البيئة المدرسية، من خلال الزيارات للاستفسار عن ظروف التحصيل الدراسي لأبنائهم، أو من هم في كفالتهم.

لتجنب هذه الفئة من المجتمع، آثار هذا الوضع الذي إن لم نبادر إلى بذل الجهود بالمعالجة والتدخل في الوقت المناسب، يكون لهذه الآثار نتائج سلبية على الفرد والمجتمع، فما هو واقع التكفل بهذه الفئة في المدرسة الجزائرية؟؟ وما هي آفاق هذا النوع من التكفل؟؟

3-1- التكفل النفسي الاجتماعي:

أولت الدولة الجزائرية عناية للتكفل باليتيم في المدرسة الجزائرية، انطلاقا من تأسيس المدرسة الجزائرية بعد الاستقلال مباشرة، خاصة وأن نسبة الأيتام في تلك الفترة سجلت نسبا عالية، نتيجة لعوامل عديدة منها فترة استعمارية قاسية، وحرب تحريرية ضروس، تحمل نتائجها الشعب الجزائري، الأيتام وجه من أوجه هذه الآثار، فكان لزاما على الدولة أن تولي هذه الفئة الهشة اهتماما خاصا، استمر هذا التقليد عبر مراحل تطور المدرسة الجزائرية. ومن أهم مظاهر التكفل بهذه الفئة في المدرسة الجزائرية، ما نستعرضه وفقا للترتيب الآتي:

• التكفل المادي:

يستفيد التلاميذ الأيتام المسجلين في المدرسة الجزائرية من مساعدة مادية عند كل دخول مدرسي، تقدر ب(3000 دج)، وفقا للمرسوم الرئاسي رقم 01-238 المؤرخ في 12/08/2001)، تهدف إلى مساعدتهم على اقتناء ما يمكن أن يحتاجه التلميذ في مطلع كل سنة دراسية، كما يستفيد التلاميذ الأيتام من الكتاب المدرسي مجانا في جميع الأطوار التعليمية، كما أن الأدوات المدرسية تقدم مجانا للتلاميذ الأيتام، من خلال المساعدة التي تساهم بها جمعيات أولياء التلاميذ، وبالتنسيق مع الجمعيات الفاعلة في المجال الاجتماعي والإنساني، لتشمل أيضا توزيع الألبسة في المناسبات الدينية والوطنية.

• الرعاية الصحية: يستفيد التلاميذ في المدرسة الجزائرية من تأمين صحي شامل، تتكفل وزارة الصحة الوطنية بالإشراف على هذا التكفل الصحي، من خلال المراقبة المستمرة للحالة الصحية للتلاميذ مع مطلع كل سنة دراسية، كما يوجد ملحقات صحية في المتوسطات والثانويات، تستقبل التلاميذ في أوقات معينة لتلقي

الرعاية الصحية والتدخل المطلوب، والتلاميذ الأيتام جزء من النسيج الاجتماعي المدرسي، وبالتالي تشملهم الرعاية بشكل آلي، غير أن التلاميذ الأيتام يستفيدون من مساعدات إضافية في المجال الصحي، تتجسد في النظارات الطبية مجان، من خلال نشاط جمعيات أولياء التلاميذ، مساهمة منها وفي بعض الأحيان بتنشيط المجال الجمعوي، والتعاقد مع عيادات صحية في طب العيون خاصة، محلات تركيب النظارات الطبية.

• الرعاية النفسية والاجتماعية: إن التكفل بالحالة النفسية للتلاميذ في المدرسة الجزائرية، والتلاميذ الأيتام بوجه خاص، ورغم الظروف التي تبذلها الدولة في هذا المجال، نتمنى إدخال تحسينات على هذا النوع من التكفل، سنتطرق لذلك في الأفق للتكفل النفسي والاجتماعي، وهنا نتطرق لحالة ونوعية التكفل النفسي بالأطفال الأيتام في المدرسة الجزائرية.

- وجود مختص في علم النفس في الملحقات الصحية في المتوسطات والثانويات، يتبعها مجموعة من المدارس، تتكفل بالمتابعة النفسية للطلاب، غير أنه يسجل على هذه الخطوة مجموعة من المآخذ التي تعيق الفعالية، كالعدد الكبير من التلاميذ مقارنة الطاقم المشرف على العملية، وبالتالي يتعذر على طبيب نفسي، أن يباشر العمل في كل المدارس ليقف على الحالة النفسية للتلاميذ، من خلال التقرب منهم في وسطهم المدرسي، بل يطلب من التلاميذ أو أوليائهم التوجه إلى العيادة التابعة لها مدرستهم، ونحن نعلم نظرة الفرد الجزائري للمصحة النفسية، فالجانب الثقافي في مجتمعاتنا طاغي سلبيا في هذه النظرة، كما أن غياب الأخصائي الاجتماعي والنفسي في مدارسنا لتشخيص الحالات والتدخل في الميدان من خلال عمله الجوّاري مع التلاميذ الأيتام أو غيرهم، وبالتالي تتم عملية الفرز وتحديد من هم في حاجة للطبيب النفسي، وفي من يتم تقديم المساعدة لهم من خلال عمل الأخصائي النفسي الاجتماعي في الوسط التربوي.

- مساهمة جمعية أولياء التلاميذ في العملية من خلال الوساطة المدرسية، بالوقوف على حالة التلاميذ نفسيا واجتماعيا، والعمل على حل كل المعوقات التي تحد من قدرة التلميذ اليتيم على الاندماج في الوسط التربوي، وتقديم المساعدة للطاقم التربوي والإداري بتزويدهم بما تم التوصل إليه من مقترحات وحلول، وذلك لقدرة الجمعية وأعضائها على مد شبكة التواصل مع المحيط الاجتماعي خارج أسوار المدرسة، إلا أننا نسجل ضعف فعالية هذا العمل، مرد ذلك إلى ضعف التكوين في مجال المجتمع المدني، وبالتالي فرؤساء الجمعيات وأعضائها، يؤدون أعمالهم بناء على خبراتهم الشخصية، دون تكوين يرسم لهم معالم أدوارهم ومستوياتها.

3-2- التكفل البيداغوجي

إن الاهتمام بالتكفل باليتيم بيداغوجيا في المدرسة الجزائرية، يحتاج إلى كثير من العناية والتجويد، نظرا للآلية المنتهجة في هذا المجال، حيث تقتصر عملية التكفل بالجوانب البيداغوجية للتلاميذ الأيتام على الإعلام والتبليغ فقط بحالات اليتيم، باقتصار العملية على الجوانب الإدارية، لاستخدام هذه الإحصائيات في مجالها الإداري، دون القفز بها نحو العمل البيداغوجي، وإن كنا نسجل جملة من الإيجابيات لهذه العملية والتي تعتبر من صلب العمل الإداري في المجال المدرسي، غير أن الجانب الإعلامي بحالات اليتيم، خاصة للطاقت التربوي المشرف على العملية لا تتم إلا بعد انقضاء الفصل الأول، حيث خلال اجتماعات دراسة نتائج الفصل الأول، ومن خلال المناقشات التي تدور بين الأساتذة يتم التعرف على حالات اليتيم، والتي في غالب الأحيان يكون بعض الأساتذة عرّفوها بحكم شبكة العلاقات الاجتماعية أو القرابة، في حين بقية الأساتذة يكتشفون لأول مرة هذه الحالات، هذا من جهة ومن جهة أخرى يعاني جل الطاقم التربوي والإداري هشاشة في التكوين بالتكفل النفسي والاجتماعي لليتيم، بل تبقى كل التدخلات التي يبديها الطاقم التربوي أو الإداري، عبارة عن تجارب شخصية أو محاكاة لوقائع سابقة، بعيدا عن أي عمل منهجي وعلمي.

3-3- مقترح التكفل بالطفل اليتيم في الوسط المدرسي: نفسيا واجتماعيا وبيداغوجيا.

إن التكفل بالأطفال اليتامى في الوسط المدرسي، من الأهمية بمكان، ولن يكون هذا التكفل فعالا ما لم يكن محصلة أبحاث أكاديمية علمية جادة، نظرا لندرة الأبحاث في هذا المجال الهام، فالبيئة المدرسية قد تكون حاضنة طبيعية للطفل اليتيم، تؤهله وتعدّه للحياة بشكل أفضل، وتساعد على بناء شخصية متزنة، ليكون عضوا فعالا في مجتمعه، وقد تتحول إلى وسيلة قهر، تزيد من معاناته وتدفع به نحو النفور من المدرسة، وقد ينجح إلى مصير مجهول، وانطلاقا من هذا نؤكد على ضرورة التكفل النفسي والاجتماعي والبيداغوجي للطفل اليتيم وفق مسار متواز ومتزامن وبوتيرة مدروسة ومُنهجية، لتحقيق فعالية هذا التكفل الذي يكون وفق المستويين السابقين:

4-1- التكفل النفسي الاجتماعي:

إن تحقيق الإشباع النفسي والاجتماعي للطفل اليتيم من الحاجات الأساسية، وكغيره من الأطفال يتطلب توفير المناخ الملائم لذلك، مع فارق جوهري بالنسبة للطفل اليتيم، فحالاته النفسية التي في غالب الأحيان ونتيجة للتربية التي يتعرض لها خارج أسوار المدرسة، والتي قد تساهم إما بقهر اليتيم من خلال المعاملة القاسية والفضة التي يتعرض لها، أو الاستجابة المفرطة تجاه كل من حوله نتيجة التدليل المفرط، من قبل من يكفله تحت حجة أنه يتيم، ومن هنا نكون في الوسط المدرسي، أما شخصيتين يتشابهان في المصدر لكن يختلفان في المؤثرات الخارجية، وكليهما معرضان للنفور الدراسي أو التسرب، أو النمو نموا نفسيا واجتماعيا لا يتماشى مع قواعد الصحة النفسية

والاجتماعية، وللتغلب على هذه المشكلات التي قد تحدث نتيجة للتضاد الذي يحدث بين المدرسة والأسرة والمجتمع، نقترح العمل وفق ما يأتي:

• دور الأخصائي النفسي الاجتماعي في الوسط المدرسي:

لقد أصبح من الضروري والأكيد أن تزود المدارس على كافة المستويات والأطوار بمختص في مجال علم النفس والاجتماع، لمساعدة الطاقم التربوي والإداري في الفعل التربوي، يضطلع بالقيام بجهد لمعرفة الظروف وتحديد الأوضاع الاجتماعية والنفسية التي تؤثر على الطلاب تأثيرا سلبيا ويعمل على وضع خطة إستراتيجية وقائية، لحماية هذه الحالات من الجنوح نحو الانحراف كما يعمل على اكتشاف القيادات وتنميتها سواء كانت هذه القيادات من الطلبة أو الأساتذة أو الأهالي (محمد سلامة، محمد عباري، 2006، ص226).

فالمختص نفسيا واجتماعيا يعمل على دراسة حالات التلاميذ الأيتام حالة بحالة، ويُعد تقريراً مفصلاً يعرض على مجلس القسم والمجلس الإداري، لتسهيل المهمة الموكلة للطاقم التربوي والإداري، كما يُنظم العمل مع جمعية أولياء التلاميذ ويُفعل دورها داخل المحيط المدرسي والاجتماعي.

• تفعيل دور مؤسسات المجتمع المدني:

إن جمعيات المجتمع المدني تعتبر شريكا هاما في المجال التربوي، تقوم فلسفة هذا المدخل على أساس أن تطوير التعليم، وإصلاحه لم يعد مسؤولية الدولة فقط، بل صار قضية مجتمعية وعملا قوميا، مما يقتضي بالضرورة دعم المجتمع كافة المؤسسات التعليمية، في صورة مشاركة مجتمعية من كافة الهيئات والمؤسسات الحكومية وغير الحكومية، والمجتمع المدني بتنظيماته وجمعياته الأهلية، وأصحاب الأموال ورجال الأعمال، والأحزاب وأولياء الأمور القادرين وغيرهم، لذلك أصبحت المشاركة المجتمعية رئيسية ومحورية في بيئة مجتمع المعرفة، لدعم وإصلاح وتطوير التعليم لبناء المعرفة. (سنقر صالحة، 2005، ص 63).

والتكفل بالأطفال اليتامى لابد أن يتم بمساعدة كل هيئات المجتمع، تكون المدرسة هي الفضاء الذي يتم في إطاره القيام بالمساعدة المادية أو الاجتماعية والنفسية.

هذا التفعيل يهدف لتنظيم عملية التدخل لصالح التلميذ اليتيم، بشكل لا يشعر الطفل اليتيم بجوانب النقص، ويكون الدعم والتكفل المقدم له في إطار رسمي، لا يشعر معه بالدونية، وحتى على مستوى الجوانب النفسية والاجتماعية، يكون العمل الجماعي مؤثرا ومنظما بدلا من الجوانب الاستعراضية للعملية، التي في أحيان كثيرة لا تراعي مشاعر الطفل اليتيم.

فالمشاركة المجتمعية لحل المشكلات المتعلقة بالجوانب التربوية والحالات الخاصة للتلاميذ، لم تعد المدرسة في ظل التطور الحاصل قادرة على القيام بذلك بمفردها، حيث يؤكد "مافي سندرس" (MAVIS.G.SANDERS) على أن

المدرسة لا تستطيع بمفردها تلبية حاجات الطلاب، بل لا بد من أن تكون جزءا من النشاط الكلي الخاص بالقوى المتفاعلة (الأسرة-المدرسة-المجتمع)، للتغلب على المشكلات الخاصة بالتحصيل الأكاديمي والنجاح العلمي (MAVIS.G.SANDERS,2001,P20).

إن تفعيل دور جمعيات أولياء التلاميذ، بحيث لا يقتصر دورها على الاجتماعات الخاصة بالمساعدات المادية وجمع الاشتراكات، بل لابد من تطوير آليات عملها، من خلال إشرافها على تنظيم ندوات تربوية للآباء والأمهات يشرف عليها أساتذة جامعيون مختصون في مجال علم النفس والاجتماع والتربية، لنشر ثقافة تربوية ونفسية واجتماعية، تكون سندا لأولياء وللمدرسة على حد سواء، في التغلب على المشكلات التربوية والنفسية للتلاميذ بشكل عام والتلاميذ الذين هم في حاجة لتكفل خاص كالأطفال اليتامى وغيرهم.

4-2- التكفل البيداغوجي:

إن التربية وممارسة الفعل التعليمي مهمة حساسة، تحتاج إلى وعي بكل مفرداتها وتدريب وتكوين على كيفية ممارسة هذا الفعل، وعلى هذا الأساس لابد من تدخلات مضبوطة في مجال البيداغوجيا في الوسط التربوي، من أجل ضمان تدخلات ايجابية للتكفل بالأطفال اليتامى ومساعدتهم على التكيف مع الوضع النفسي والاجتماعي الخاص بهم، في ظل منظومة لا تُشعرهم بجوانب النقص ولا تتبالغ في الاهتمام والتدليل، تراعي مشاعرهم في ممارسة الفعل التربوي، وتأخذ بيدهم إلى بر الأمان، في تكوين وبناء الشخصية المتوازنة.

إن ما نصبو إليه يكون من خلال المقترحات الآتية:

• تكوين المكونين:

يعتبر الأستاذ حيز الزاوية في العملية التربوية، فهو الموجه للعملية التربوية فقد يساهم في تفتح مواهب التلاميذ وتوهج جذوة حب العلم والإطلاع، وقد يساهم في انكفاء قدرات ومواهب التلاميذ وطمسها، ومن هنا كانت أهمية تكوين الأستاذ في مجال العلوم الإنسانية والاجتماعية خاصة علم النفس التربوي وعلم اجتماعيات التربية، نظرا لما لهما من دور في تأهيل الأساتذة ليكونوا قادرين على القيام بمهامهم التربوية، والتكفل بالحالات الخاصة، ونورد هنا مثلا واقعا صادفناه أثناء أداء مهام التكوين للأساتذة المتربين، حيث نجد أغلبهم يعاني من ضعف في معالجة وضعيات تعليمية تكون متعلقة بالأسرة (الأم، الأب، اليتيم... الخ)، فقد يصادف الأستاذ حالات من الانهيار والبكاء وربما الإغماء التي تحدث له داخل الفصل، ولا يعلم إلا بعد فوات الأوان أن أحد طلابه يتيم أحد الوالدين أو كليهما، هنا يطلب المساعدة كيف يتصرف في حالة الإعداد للدرس، وفي حالة وقوع ردود أفعال تجاه الكلام عن الوالدين في سياق تطبيق المنهاج الدراسي، طبعا ليس من المعقول إلغاء الدروس المخصصة لهذه المواضيع، لأنها في سياق التكوين البيداغوجي للطلاب، لكن تكوين الأساتذة ضرورة ملحة وأكيدة.

كما لا يُستثنى هنا من العملية التكوينية المساعدين التربويين، والطاقت الإداري وحتى العمال والمهنيين في الوسط التربوي، لأنهم معنيون بالتعامل مع الأطفال، ولا بد أن يكتسب كل منهم قدرا من المعلومات حول التعامل مع الأطفال في هذه الحالات.

• تحديث آليات العمل التربوي :

في ما يخص المجالس التربوية، وهنا نشير إلى دور الأساتذة مسؤولي الأقسام،الذين يكلفون بالعمل في إطار تنظيم العمل بين أساتذة القسم الواحد،لا بد من تكوين لهذه الفئة في مجال عملها،ولا يبقى دورها مقتصر على تدخل مقتضب في مجلس القسم خلال دراسة نتائج التلاميذ في كل فصل بل نقترح أن يكون عملها كالاتي:

- مسك ملفات التلاميذ ذوي الاحتياجات الخاصة في القسم ومتابعة حالتهم، وإعداد تقرير يقدم في بداية السنة الدراسية، ويُحِين في كل فصل.
- تكليف كل أستاذ أشرف على قسم في الموسم الماضي، أن يقدم عرض حال عن قسمه للأستاذ المشرف عليه في السنة الجديدة،الذي بدوره يقدم تقريراً للأستاذة الجدد في بداية الموسم الدراسي،حتى لا يفاجئ الأساتذة بوجود تلاميذ في حاجة لعناية خاصة عند نهاية الفصل الأول.
- إشراك جمعيات أولياء التلاميذ في العملية التربوية،من خلال حثهم على تتبع مسار أبنائهم أو من هم في كفالتهم تربوياً،وذلك من خلال الأبواب المفتوحة التي تنظم خلال كل ثلاثي،كما أن شبكات التواصل الاجتماعي،يمكن استغلالها من طرف الأساتذة في تواصلهم مع أولياء الأمور لتبليغهم بحالة أبنائهم.

خلاصة:

يحتاج الطفل اليتيم إلى حاجات نفسية واجتماعية وتربوية مثل أقرانه،غير أن الاختلاف في حالته يكمن في كيفية تأمين هذه الحاجات في الوسط المدرسي،حتى لا نساهم في قهر نفسية التلميذ اليتيم من خلال حرمانه من هذه الحاجات،أو نبالغ في تدليله تحت مبرر يُتمه،وهنا تأتي النتائج عكس ما نصبو إليه،والمدرسة الجزائرية تعمل على التكفل بهذه الفئة في كافة المجالات بمساهمة الدولة الجزائرية،ومؤسسات المجتمع المدني،غير أن الأمر لا يخلو من مثالب تحتاج إلى التصويب،كالتكوين النفسي والاجتماعي والبيداغوجي للطاقت التربوي والإداري،وتفعيل دور جمعيات أولياء التلاميذ والمجتمع المدني،لتحقيق تكفل أفضل بهذه الشريحة من المجتمع.

قائمة المراجع:

- أبو الفضل جمال الدين بن مكرم لمسان العرب، مجلد 12، دار صادر، بيروت، 1973.
- حامد عبد السلام زهران، علم نفس النمو (الطفولة والمرافقة)، دار المعارف، القاهرة، 1986.
- مجمع اللغة العربية، المعجم الوجيز، مجمع اللغة العربية، مصر، 1989.
- محمد بدوي وآخرون قاموس أكسفورد المحيط (انجليزي-عربي)، أكاديمية أنترناشيونال، بيروت، 2003.
- مصلاح الصالح، الشامل (قاموس مصطلحات العلوم الاجتماعية)، دار عالم الكتب، المملكة العربية السعودية، 1999.
- منصور وآخرون، أسس علم النفس العام، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 2003.
- معوض خليل، علم النفس العام، مركز الإسكندرية للكتاب، القاهرة، 2001.
- محمد سلامة، محمد عباري، الخدمة الاجتماعية في المؤسسات التعليمية، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، 2006.
- عبد المجيد النشواتي، علم النفس التربوي، ط6، دار الفرقان للنشر والتوزيع، عمان، 1993.
- عبد الله مجدي، الطفولة بين السواء والمرض، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1997.
- عبد الرحمان محمد نظريات الشخصية، دار قباء للطباعة والنشر، القاهرة، 1998.
- علي عبد الرازق جلبي، دراسات في المجتمع والثقافة والشخصية، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، 1984.
- فاخر عاقل، أصول علم النفس وتطبيقاته، ط6، دار العلم للملايين، بيروت، 1984.
- THE ROLE OF COMMUNITY IN COMPREHENSIVE "MAVIS.G.SANDERS,
- ,THE "SCHOOL,FAMILY AND COMMUNITY,PARTNERSHIP PROGRAMES
- .ELEMENTARY SCHOOL JOURNAL ,VOL 102,NO ;01,2001